ألف ليلة وليلة



3

الأمجد والأسعد

ألف ليلة وليلة

الأمجد والأسعد

راجعها

سعيد جوده السحار ، عبد الستار فراج

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

حكاية الأمجد والأسعد



وكان الأسعد اجمل من اخيه الأمجد . ثم إنهما تربيا فى العز والدلال ، والأدب والكمال ، وتعلما الخط والعلم والسياسة والفروسية حتى صارا فى غاية الكمال ، ونهاية الحسن والجمال ؛ وافتتن بهما النساء والرجال . وصار لهما من العمر نحو سبعة عشر عاما وهما متلازمان ؛ فيأكلان ويشربان معا ، ولا يفترقان ساعة من الساعات ولا وقتا من الأوقات ، وجميع الناس يحسدونهما على ذلك .

ولما بلغا مبلغ الرجال ، واتصفا بالكمال ، صار ابوهما إذا سافر يجلسهما على التعاقب فى مجلس الحكم ؛ فيحكم كل واحد منهما يوما بين الناس .

واتفق بالقدر المبرم ، والقضاء المحتم ، أن محبة الأسعد الذى هو ابن حياة النفوس ، وقعت فى قلب الملكة بدور زوجة أبيه ؛ وأن محبة الأمجد الذى هو ابن الملكة بدور ، وقعت فى قلب حياة النفوس زوجة أبيه . فصارت كل واحدة من المراتين تلاعب ابن ضرتها وتقبله وتضمه إلى صدرها ؛ وإذا رأت ذلك أمه تظن أنه من الشفقة ومحبة الأمهات لأولادهن . وتمكن العشق من قلبى المراتين ، وافتتنتا بالولدين ، فصارت كل واحدة منهما إذا دخل عليها ابن ضرتها تود أنه لا يفارقها .

ولما طال عليهما المطال ، ولم يجدا سبيلا إلى الوصال ، امتنعا من الشراب والطعام ، وهجرتا لذيذ المنام .

ثم إن الملك توجه إلى الصيد والقنص ، وأمر ولديه أن يجلسا فى موضع الحكم كل واحد منهما يوما على عادتهما .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٤١

(**فلما كانت الليلة الحادية والأربعون بعد المائتين**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك توجه إلى الصيد والقنص ، وأمر ولديه أن يجلسا فى موضعه للحكم كل واحد يوما على عادتهما . فجلس للحكم فى اليوم الأول الأمجد ابن الملكة بدور فأمر ونهى ، وولى وعزل ، وأعطى ومنع . فكتبت له الملكة حياة النفوس — أم الأسعد — مكتوبا تستعطفه فيه وتوضح له أنها متعلقة به ومتعشقة له ، وتعلمه أنها تريد وصاله . فأخذت ورقة وكتبت فيها هذه السجعات : « من المسكينة العاشقة ، الحزينة المفارقة ، التى ضاع بحبك شبابها ، وطال فيك عذابها . ولو وصفت لك طول الأسف ، وما أقاسيه من اللهف ، وما بقلبى من الشغف ، وما أنا فيه من البكاء والأنين ، وتقطع القلب الحزين ، وتوالى الغموم ، وتتابع الهموم ، وما أجده من الفراق ، والسكابة

والاحتراق ، لطال شرحه فى الكتاب ، وعجز عن حصره الحساب . وقد ضاقت علىّ الأرض والسماء ، ولا لى فى غيرك أمل ولا رجاء ، فقد اشرفت علي الموت ، وكابدت أهوال الفوت . ولو وصفت ما عندى من الأشواق ؛ لضاقت عنه الأوراق » .

ثم بعد ذلك كتبت هذين البيتين :

لو كنت اشرح ما ألقاه من حـرق ومن سقام ومن وجـد ومـن قلق
لم يبق فى الأرض قرطاس ولا قلم ولا مِـداد ولا شىء مـن الـورق

ثم إن الملكة حياة النفوس لفت تلك الورقة فى رقعة من غالى الحرير مضمخة بالمسك والعنبر ، ووضعت معها جدائل شعرها ، التى تستغرق الأموال بسعرها . . ثم لفتها بمنديل واعطت الخادم إياها ، وامرته ان يوصلها إلى الملك الأمجد .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٤٢

(فلما كانت الليلة الثانية والأربعون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد انها اعطت الخادم ورقة المراسلة ، وامرته ان يوصلها إلى الملك الأمجد . فسار ذلك الخادم وهو لا يعلم ما خفى له فى الغيب ، وعلام الغيوب يدبر الأمور كيف يشاء . فلما دخل الخادم على الملك الأمجد قبل الأرض بين يديه ، وناوله المنديل وبداخله الرسالة . فتناول الملك الأمجد المنديل من الخادم وفتحه ، فرأى الورقة ففتحها وقراها . فلما فهم معناها علم ان امرأة ابيه فى عينها الخيانة ، وقد خانت إياه الملك قمر الزمان فى نفسها . فغضب غضبا شديدا ، وذم النساء على فعلهن وقال : لعن الله النساء الخائنات ، الناقصات عقلا ودينا .



ثم إنه جرد سيفه وقال للخادم : ويلك يا عبد السوء انحمل المراسلة المشتملة على الخيانة من زوجة سيدك ؟ والله إنه لا خير فيك يا أسود اللون والصحيفة ، يا قبيح المنظر والطبيعة السخينة .

ثم ضرب عنقه بالسيف فعزل رأسه عن جثته . وطوى المنديل على ما فيه ووضعه فى جيبه . ثم دخل على امه واعلمها بما جرى ، وسبها وشتمها وقال : كلكن انحس من بعضكن . والله العظيم لولا انى اخاف إساءة الأدب فى حق والدى قمر الزمان واخى الملك الأسعد ، لدخلت عليها وضربت عنقها كما ضربت عنق خادمها .

ثم إنه خرج من عند امه الملكة بدور وهو فى غاية الغيظ . فلما بلغ الملكة حياة النفوس زوجة ابيه ما فعل بخادمها ، سبته ودعت عليه واضمرت له المكر . فبات الملك الامجد فى تلك الليلة ضعيفا من الغيظ والقهر والفكر ، ولم يلذ له أكل ولا شرب ولا منام .

فلما أصبح الصباح ، خرج اخوه الملك الأسعد وجلس فى مجلس ابيه الملك قمر الزمان ليحكم بين الناس . واصبحت أمه حياة النفوس ضعيفة بسبب ما سمعته عن الملك الامجد من قتله للخادم .

ثم إن الملك الأسعد لما جلس للحكم فى ذلك اليوم ، حكم وعدل ، وولى وعزل ، وامر ونهى ، واعطى ووهب ، ولم يزل جالسا فى مجلس الحكم إلى قرب العصر .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٤٣

(فلما كانت الليلة الثالثة والأربعون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان الملكة بدور — أم الملك الأمجد — ارسلت إلى عجوز من العجائز الماكرات واظهرتها على ما فى قلبها ، واخذت ورقة لتكتب فيها مراسلة للملك الأسعد ابن زوجها وتشكو إليه كثرة محبتها ووجدها به . فكتبت له هذه السجعات : « ممن تلفت وجدا وشوقا ، إلى أحسن الناس خلقا وخلقا ، المعجب بجماله ، التائه بدلاله ، المعرض عن طلب وصاله ، الزاهد فى القرب ممن خضع وذل ، إلى من جفا ومل ، الملك الأسعد صاحب الحسن الفائق ، والجمال الرائق ، والوجه الأقمر ، والجبين الأزهر ، والضياء الأبهر . هذا كتابى إلى من حبه اذاب جسمى ، ومزق جلدى وعظمى . اعلم أننى قد عيل صبرى ، وتحيرت فى أمرى ، واقلقنى الشوق والبعاد ، وجفانى الصبر والرقاد ، ولازمنى الحزن والسهاد ، وبرح بى الوجد والغرام ، وحلول الضنى والسقام . فالروح تفديك ، وإن كان قتل الصب يرضيك ، والله يبقيك ، ومن كل سوء يقيك » .

ثم بعد تلك السجعات ، كتبت هذه الأبيات :

حكم الزمان باننى لك اعشق ... يا من محاسنه كبدر يشرق
حزت الملاحة والفصاحة كلها ... وعليك من دون البرية رونق
ولقد رضيت بأن تكون معذبى ... فعسى على بنظرة تتصدق
من مات فيك صبابة فله الهنا ... لا خير فيمن لا يحب ويعشق

ثم كتبت ايضا هذه الأبيات :

إليك اسعد اشكو من لهيب جوى فارحم متيمة بالشوق تلتهب
إلى متى وايادى الوجد تلعب بى والعشق والفكر والتسهيد والنصب
طورا ببحر وطورا اشتكى لهبا فى مهجتى إن ذا يا منيتى عجب
يا لائمى خل لومى والتمس هربا من الهوى ندموع العين تنسكب
كم صحت وجدا من الهجران واحربا فلم يفدنى بذاك الويل والحرب
امرضتنى بصدود لست احمله أنت الطبيب فأسعفنى بما يجب
يا عاذلى كف عن عذلى محاذرة كيلا يصيبك عن داء الهوى عطب

ثم إن الملكة بدور ضمخت ورقة الرسالة بالمسك الأذفر ولفتها فى جدائل شعرها ؛ ووضعتها فى قطعة من الحرير العراقى لها أهداب من قضبان من الزمرد الأخضر ، مرصعة بالدر والجوهر . ثم سلمتها إلى العجوز وامرتها أن تدفعها للملك الأسعد ابن زوجها الملك قمر الزمان .

فراحت العجوز إكراما لها ، ودخلت على الملك الأسعد من وقتها وساعتها ؛ وكان فى خلوة عند دخولها فناولته الورقة بما فيها ، وقد وقفت ساعة زمانية تنتظر رد الجواب .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٤٤

(فلما كانت الليلة الرابعة والأربعين بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز وقفت ساعة زمانية تنتظر رد الجواب فعند ذلك قرأ الملك الأسعد الورقة وفهم ما فيها . ثم بعد ذلك لف الورقة فى الجدائل ووضعها فى جيبه ، وغضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد ولعن النساء الخائنات . ثم نهض وسحب السيف من غمده وضرب رقبة العجوز فعزل

راسها عن جثتها . وبعد ذلك قام وتمشى حتى دخل على أمه حياة النفوس ، فوجدها راقدة على الفراش ضعيفة بسبب ما جرى لها من الملك الأمجد ، فشتمها الملك الأسعد ولعنها . ثم خرج من عندها فاجتمع بأخيه الملك الأمجد وحكى له جميع ما جرى له مع أمه الملكة بدور ، وأخبره بأنه قتل العجوز التى جاءته بالرسالة ، ثم قال له : والله يا أخى لولا حيائى منك لكنت دخلت فى هذه الساعة إليها ، وقطعت راسها من بين كتفيها .

فقال له أخوه الملك الأمجد : والله يا أخى إنه قد جرى لى بالأمس لما جلست على كرسى المملكة مثل ما جرى لك فى هذا اليوم ، فإن أمك أرسلت إلىّ بمثل مضمون هذا الكلام .

ثم أخبره بجميع ما جرى له مع أمه الملكة حياة النفوس . وقال له : يا أخى لولا حيائى منك لدخلت إليها ، وفعلت بها ما فعلت بالخادم .

ثم إنهما باتا يتحدثان بقية الليلة ، ويلعنان النساء الخائنات . ثم تواصيا بكتمان هذا الأمر لئلا يسمع أبوهما الملك قمر الزمان فيقتل المراتين . ولم يزالا فى غم تلك الليلة إلى الصباح .

فلما أصبح الصباح ، اقبل الملك بجيشه من الصيد وطلع إلى قصره . ثم صرف الأمراء إلى حال سبيلهم ، وقام ودخل القصر فوجد زوجتيه راقدتين على الفراش وهما فى غاية الضعف وقد دبرتا لولديهما مكيدة ، واتفقتا على تضييع أرواحهما لأنهما قد فضحتا أنفسهما معهما ، وقد خشيتا أن تصيرا تحت مذلتهما . فلما رآهما الملك على تلك الحال قال لهما : مالكما ؟

فقامتا إليه وقبلتا يديه ، وعكستا عليه المسألة وقالتا له : اعلم أيها الملك أن ولديك اللذين تربيا فى نعمتك ، قد خاناك فى زوجتيك واركباك العار .

فلما سمع قمر الزمان من زوجتيه هذا الكلام ، صار الضياء فى

وجهه ظلاما ، واغتاظ غيظا شديدا حتى طار عقله من شدة الغيظ ، وقال لهما : اوضحا لى هذه القضية .

فقالت له الملكة بدور : اعلم يا ملك الزمان أن ولدك الأسعد ابن حياة النفوس ، له مدة من الأيام وهو يراسلنى ويكاتبنى ويراودنى عن نفسى وأنا انهاه عن ذلك ولا ينتهى . فلما سافرت انت هجم علىّ وهو سكران والسيف فى يده ، فخفت أن يقتلنى إذا مانعته كما قتل خادمى ، فقضى اربه منى غصبا . وإن لم تخلص حقى منه ايها الملك قتلت نفسى بيدى ، وليس لى حاجة بالحياة فى الدنيا بعد هذا الفعل القبيح .

وأخبرته حياة النفوس ايضا بمثل ما أخبرته به ضرتها بدور .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٤٥

(فلما كانت الليلة الخامسة والأربعون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان الملكة حياة النفوس أخبرت زوجها الملك قمر الزمان بمثل ما اخبرته به الملكة بدور وقالت له : انا الأخرى جرى لى مع ولدك الأمجد كذلك .

ثم إنها أخذت فى البكاء والنحيب وقالت له : إن لم تخلص لى حقى منه اعلمت ابى الملك ارمانوس بذلك .

ثم إن المرأتين بكتا قدام زوجهما الملك قمر الزمان بكاء شديدا . فلما سمع كلامهما اعتقد انه حق فغضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد ، فقام واراد أن يهجم على ولديه ليقتلهما ، فلقيه صهره الملك ارمانوس وقد كان دخل فى تلك الساعة ليسلم عليه لما علم انه قد أتى من الصيد ، فرآه والسيف مشهور فى يده والدم يقطر من مناخيره من شدة غيظه . فسأله عما به فأخبره بجميع ما جرى من ولديه الأمجد والأسعد ، ثم قال له : وها أنا ذا داخل إليهما لأقتلهما اقبح قتلة ، وأمثل بهما اقبح مثلة .

فقال له صهره الملك ارمانوس ، وقد اغتاظ عليهما ايضا : ونعم ما تفعل يا ولدى ، فلا بارك الله فيهما ولا فى أولاد تفعل هذه الفعل فى حق ابيهما . ولكن يا ولدى صاحب المثل يقول : « من لم ينظر فى العواقب ، ما الدهر له بصاحب » . وهما ولداك على كل حال ، ولا ينبغى ان تقتلهما بيدك فتتجرع غصتهما وتندم بعد ذلك على قتلهما حيث لا ينفعك الندم . ولكن ارسلهما مع احد المماليك ليقتلهما فى السبرية وهما غائبان عن عينك .

فلما سمع الملك قمر الزمان من صهره الملك ارمانوس هذا الكلام رآه صوابا ، فاغمد سيفه ورجع وجلس على سرير مملكته ، ودعا خازنه وكان شيخا كبيرا عارفا بالأمور وتقلبات الدهور ، وقال له : ادخل إلى ولدىّ الأمجد والأسعد واكتفهما كتافا جيدا واجعلهما فى صندوق واحملهما على بغل ، واركب انت واخرج بهما إلى وسط البرية واذبحهما ، واملأ لى قنينتين من دمهما وائتنى بهما عاجلا .

فقال له الخازن : سمعا وطاعة .

ثم نهض من وقته وساعته وتوجه إلى الأمجد والأسعد ، فصادفهما فى الطريق وهما خارجان من دهليز القصر وقد لبسا قماشهما وافخر ثيابهما ، وارادا التوجه إلى والدهما الملك قمر الزمان ليسلما عليه ويهنئاه بسلامة قدومه من سفره إلى الصيد .

فلما رآهما الخازن قبض عليهما وقال لهما : يا ولدىّ اعلما انني عبد مأمور ، وأن اباكما قد أمرنى بأمر فهل انتما مطيعان لأمره ؟

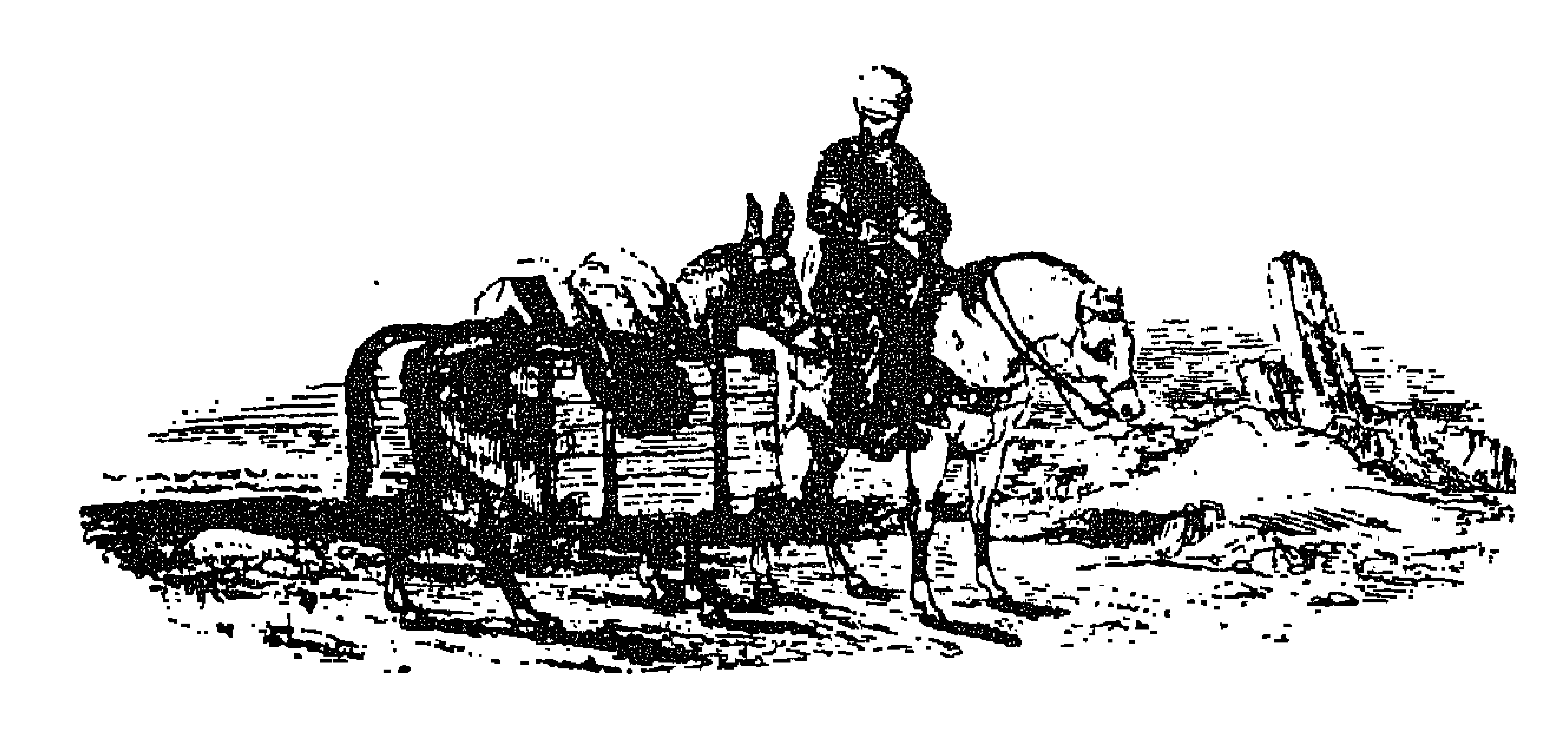
قالا : نعم .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة السادسة والأربعون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخازن قال لهما أن أباكما قد أمرنى بأمر فهل انتما مطيعان لأمره ؟

قالا : نعم .

فعند ذلك تقدم إليهما الخازن وكتفهما ووضعهما فى صندوقين ، وحملهما على ظهر بغل وخرج بهما من المدينة . ولم يزل سائرا بهما فى البرية إلى قرب الظهر فأنزلهما فى مكان قفر موحش ، ونزل عن



فرسه وحط الصندوقين عن ظهر البغل ، وفتحهما وأخرج الأمجد والأسعد منهما . فلما نظر إليهما بكى بكاء شديدا على حسنهما وجمالهما ، وبعد ذلك جرد سيفه وقال لهما : والله يا سيدىّ إنه يعز علىّ أن افعل بكما قبيحا ، ولكن انا معذور فى هذه الأمور ، لأننى عبد مأمور ، وقد أمرنى والدكما الملك قمر الزمان بضرب رقبتيكما .

فقالا له : أيها الأمير افعل ما أمرك به الملك ، فنحن صابران على ما قدره الله عز وجل علينا ، وانت فى حلٍ من دمائنا .

ثم إنهما تعانقا وودع بعضهما بعضا ، وقال الأسعد للخازن : بالله عليه يا عم لا تجرعني غصة أخي ولا تسقني حسرته ، بل اقتلني أنا قبله ليكون ذلك أهون عليّ .

وقال الأمجد للخازن مثل ما قال الأسعد ، واستعطف الخازن أن يقتله قبل أخيه وقال له : إن أخي أصغر مني فلا تذقني لوعته .

ثم بكا كل منهما بكاء شديدا ما عليه من مزيد ، وبكى الخازن لبكائهما .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٤٧

(فلما كانت الليلة السابعة والأربعون بعد المائتين) قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن الخازن بكى لبكائهما .. ثم إن الأخوين تعانقا وودع بعضهما بعضا ، وقال أحدهما للآخر : إن هذا كله من كيد الخائنتين أمي وأمك . وهذا جزاء ما جرى مني في حق أمك ، وجزاء ما جرى منك في حق أمي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! إنا لله وإنا إليه راجعون !

ثم إن الأسعد اعتنق أخاه ، وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات :

يا من إليه المشتكى والمفزع ... أنت المعد لكل ما يتوقع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة ... ولئن رددت فأي باب أقرع
يا من خزائن فضله في قول : كن ... أمنن فكل الخير عندك أجمع

فلما سمع الأمجد بكاء أخيه ، بكى وضمه إلى صدره وأنشد هذين البيتين :

يا من أياديه عندي غير واحدة ... ومن مواهبه تنمو عن العدد
ما نابني من زماني قط نائبة ... إلا وجدتك فيها آخذا بيدي

ثم قال الأمجد للخازن : سألتك بالواحد القهار ، الملك الستار ، أن تقتلنى قبل أخى الأسعد ، لعل نار قلبى تخمد ، ولا تدعها تتوقد .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٤٨

(فلما كانت الليلة الثامنة والأربعون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الأمجد قال للخازن : سألتك بالواحد القهار ، الملك الستار ، أن تقتلنى قبل أخى الأسعد ، لعل نار قلبى تخمد ، ولاتدعها تتوقد .

فبكى الأسعد وقال : ما يقتل قبل إلا أنا .

فقال الأمجد : الرأى أن تعتنقنى وأعتنقك حتى ينزل السيف علينا فيقتلنا دفعة واحدة .

فلما اعتنق الاثنان وجها لوجه التزما بعضهما بعضا . وشدهما الخازن وربطهما بالحبال وهو يبكى ، ثم جرد سيفه وقال : والله يا سيدى إنه يعز على قتلكما . فهل لكما من حاجة فأقضيها ، أو وصية فأنفذها ، أو رسالة فأبلغها ؟

فقال الأمجد : ما لنا حاجة . وأما من جهة الوصية فإنى أوصيك أن تجعل أخى الأسعد من تحت وأنا من فوق ، لأجل أن تقع علىّ الضربة أولا . فإذا فرغت من قتلنا ووصلت إلى الملك وقال لك : ما سمعت منهما قبل موتهما ؟ فقل له : إن ولديك يقرآنك السلام ويقولان لك : « إنك لا تعلم هل هما بريئان أو مذنبان ، وقد قتلتهما وما تحققت ذنبهما وما نظرت فى حالهما » .

ثم أنشده هذين البيتين :

إن النساء شياطين خلقن لنا ‏ ‏ نعوذ بالله من كيد الشياطين
فهن اصل البليات التى ظهرت ‏ ‏ بين البرية فى الدنيا وفى الدين

ثم قال الأمجد : ما نريد منك إلا ان تبلغه هذين البيتين اللذين سمعتهما .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٤٩

(فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الأمجد قال للخازن : ما نريد منك إلا ان تبلغه هذين البيتين اللذين سمعتهما .. وأسألك بالله ان تتمهل علينا حتى انشد لاخى هذين البيتين الآخرين .

ثم بكى بكاء شديدا وجعل يقول :

فى الذاهبين الأولـ ‏ ‏ ين من الملوك لنا بصائر
كم قد مضى فى ذا الطريـ ‏ ‏ ق من الأكابر والأصاغر

فلما سمع الخازن من الأمجد هذا الكلام ، بكى بكاء شديدا حتى بل لحيته . وأما الاسعد فإنه قد تغرغرت عيناه بالعبرات ، وانشد هذه الأبيات :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر ‏ ‏ فما البكاء على الأشباح والصور
ما لليالى ؟ اقال الله عثرتنا ‏ ‏ من الليالى وخانتها يد الغير
قد أضمرت كيدها لابن الزبير وما ‏ ‏ رعت ليائذته بالبيت والحجر
وليتها إذ فدت عمرا بخارجة ‏ ‏ فدت عليا بمن شاءت من البشر

ثم خضب خده بدمعه المدرار ، وانشد هذه الأشعار :

إن الليالى والأيام قد طبعت — على الخداع وفيها المكر والحيل
سراب كل يباب عندها شنب — وهول كل ظلال عندها كحل
ذنبى إلى الدهر — فليكر سجيته — ذنب الحسام إذا ما أحجم البطل

ثم صعد الزفرات ، وانشد هذه الأبيات :

يا طالب الدنيا الدنية ، إنها — شرك الردى وقرارة الأكدار
دار متى ما أضحكت فى يومها — ابكت غدا ، تبا لها من دار
غاراتها لا تنقضى ، وأسيرها — لا يفتدى بجلائل الأخطار
كم مزده بغرورها حتى غدا — متمردا متجاوز المقدار
قلبت له ظهر المجن واولغت — فيه المدى نزلت لأخذ الثار
واعلم بأن خطوبها تفجا ، ولو — طال المدى وونت سرى الأقدار
فاربا بعمرك أن يمر مضيعا — فيها سدى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها — تلق الهدى ورفاهة الأسرار

فلما فرغ الأسعد من شعره ، اعتنق أخاه الأمجد حتى صارا كأنهما شخص واحد ، وسل الخازن سيفه واراد ان يضربهما وإذا بفرسه جفل فى البر وكان يساوى الف دينار ، وعليه سرج عظيم يساوى جملة من المال ، فألقى السيف من يده وذهب وراء فرسه .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٥٠

(**فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد المائتين**) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان الخازن ذهب وراء فرسه وقد التهب فؤاده ، وما زال يجرى خلفه ليمسكه حتى دخل فى غابة ، فدخل وراءه فى تلك الغابة . . فشق الجواد فى وسط الغابة ، ودق الأرض برجليه فعلا الغبار



وارتفع وثار . وأما الفرس فإنه شخر ونخر . وصهل وزمجر . وكان فى تلك الغابة أسد عظيم الخطر ، قبيح المنظر ، عيونه ترمى بالشرر ، له وجه عبوس ، وشكل يهول النفوس . فالتفت الخازن فرأى ذلك الأسد قاصدا إليه ، فلم يجد له مهربا من يديه ، ولم يكن معه سيف فقال فى نفسه : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ما حصل لى هذا الضيق إلا بذنب الأمجد والأسعد ، وإن هذه السفرة مشئومة من أولها .

ثم إن الأمجد والأسعد قد حمى عليهما الحر فعطشا عطشا شديدا حتى تدلى لساناهما ، واستغاثا من العطش فلم يغثهما أحد . فقال الأمجد : يا ليتنا كنا قتلنا واسترحنا من هـذا . ولكن ما ندرى أين جفل الحصان حتى ذهب الخازن وراءه وخلانا مكتفين . فلو جاءنا وقتلنا كان أريح لنا من مقاساة هذا العذاب .

فقال الأسعد : يا أخى اصبر فسوف يأتينا فرج الله سبحانه وتعالى ،

فإن الحصان ما جفل إلا لأجل لطف الله بنا وما ضرنا غير هذا العطش .

ثم هز نفسه وتحرك يمينا وشمالا فانحل كتافه ، فقام وحل كتاف اخيه . ثم اخذ سيف الخازن وقال لأخيه : والله لا نروح من ههنا حتى نكشف خبره ، ونعرف ما جرى له .

وشرعا يقصان الأثر فدلهما على الغابة ، فقالا : إن الحصان والخازن ما تجاوزا هذه الغابة .

فقال الأسعد لأخيه : قف هنا حتى أدخل الغابة وانظرها .



فقال الأمجد : ما أخليك تدخل فيها وحدك وما ندخل إلا جميعا ، فإن سلمنا سلمنا معا ، وإن عطبنا عطبنا معا .

فدخل الاثنان فوجدا الأسد قد هجم على الخازن وهو تحته كأنه عصفور ، ولكنه صار يبتهل إلى الله ويشير إلى السماء . فلما رآه الأمجد أخذ السيف وهجم على الأسد وضربه بالسيف بين عينيه فقتله ، ووقع الأسد مطروحا على الأرض . فنهض الخازن وهو متعجب من هذا الأمر ، فرأى الأمجد والأسعد ولدى سيده واقفين فترامى على أقدامهما وقال لهما : والله يا سيدى ما يصلح أن أفرط فيكما بقتلكما . فلا كان من يقتلكما ، فبروحى أفديكما .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٥١

(فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخازن قال للأمجد والأسعد : بروحى أفديكما .

ثم نهض من وقته وساعته واعتنقهما ، وسألهما عن سبب فك وثاقهما وقدومهما فأخبراه أنهما عطشا وانحل الوثاق من أحدهما ففك الآخر بسبب خلوص نيتهما ، وأنهما اقتصا الأثر حتى وصلا إليه .

فلما سمع كلامهما شكرهما على فعلهما ، وخرج معهما إلى ظاهر الغابة . فلما صاروا فى ظاهر الغابة قالا له : يا عم افعل ما أمرك به أبونا .

فقال : حاشا لله أن أقربكما بضرر . ولكن اعلما أنى أريد أن أنزع ثيابكما وألبسكما بعض ثيابى ، وأملأ قنينتين من دم الأسد ثم أروح إلى الملك وأقول له : « إنى قتلتهما » . وأما أنتما فسيحا فى البلاد ؛ وأرض الله واسعة . واعلما يا سيدى أن فراقكما يعز على .

ثم بكى كل من الخازن والغلامين ، وخلعا ثيابهما وألبسهما بعض ثيابه . وربط قماش كل واحد منهما فى بقجة ، وملأ القنينتين من دم الاسد وجعل البقجتين قدامه على ظهر الجواد ، ثم ودعهما وسار متوجها إلى المدينة .

ولم يزل سائرا حتى دخل على الملك وقبل الأرض بين يديه ، فرآه الملك متغير الوجه ، وذلك مما جرى له من الأسد ، فظن أن ذلك من قتل ولديه ففرح وقال له : هل نفذت الأمر ؟

قال : نعم يا مولانا .

ثم ناوله البقجتين اللتين فيهما الثياب والقنينتين الممتلئتين بالدم ، فقال له الملك : ماذا رأيت منهما ؟ وهل أوصياك بشيء ؟

قال : وجدتهما صابرين محتسبين لما نزل بهما . وقد قالا لى : إن أبانا معذور فأقرئه منا السلام وقل له : أنت فى حل من قتلنا ومن دمائنا ، ولكن نوصيك أن تبلغه هذين البيتين وهما :

إن النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من كيد الشياطين
فهن أصل البليات التى ظهرت بين البرية فى الدنيا وفى الدين

فلما سمع الملك من الخازن هذا الكلام أطرق إلى الأرض مليا ، وعلم أن كلام ولديه هذا يدل على أنهما قد قتلا ظلما . ثم تفكر فى مكر النساء ودواهيهن ، وأخذ البقجتين وفتحهما وصار يقلب ثياب ولديه ويبكى .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد أن الملك قمر الزمان لما فتح البقجتين صار يقلب ثياب ولديه ويبكى . فلما فتح ثياب ولده الأسعد وجد فى جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته بدور ومعها جدائل شعرها . ففتح الورقة وقراها وفهم معناها فعلم بأن ولده الأسعد مظلوم . ولما قلب ثياب الأمجد وجد فى جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته حياة النفوس وفيها جدائل شعرها . ففتح الورقة وقراها فعلم أنه مظلوم . فدق يدا على يد وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، قد قتلت ولدى ظلما .

ثم صار يلطم على وجهه ويقول : واولداه ، واطول حزناه .

وامر ببناء قبرين فى بيت وسماه بيت الأحزان ، وكتب على القبرين اسمى ولديه ، وترامى على قبر الأمجد وبكى ، وأن واشتكى ، وانشد هذه الأبيات :

يا قمرا قد غاب تحت الثرى بكت عليه الانجم الزاهرة

ويا قضيبا لم يمس بعده معاطف للأعين الناظرة

منعت عينى عنك من غيرنى عليك لا اراك للآخرة

واغرقت بالسهد فى دمعها وإننى من ذاك بالساهرة

ثم ترامى على قبر الأسعد وبكى ، وأن واشتكى ، وافاض العبرات ، وانشد هذه الأبيات :

قد كنت أهوى أن اشاطرك الردى لكن أراد الله غير مرادى

سودت ما بين الفضاء وناظرى ومحوت من عينى كل سواد

لا ينفد الدمع الذى أبكى به إن الفؤاد له من الأمداد

أعزز على بأن اراك بموضع متشابه الاوغاد والأمجاد

ولما فرغ الملك من شعره هجر الأحباب والخلان ، وانقطع فى البيت الذى سماه بيت الأحزان ، وصار يبكى على ولديه ، وهجر نساءه وأصحابه وأصدقاءه .

هذا ما كان من أمره ، وأما ما كان من أمر الأمجد والأسعد فإنهما لم يزالا سائرين فى البرية وهما يأكلان من نبات الأرض ، ويشربان من متحصلات الأمطار مدة شهر كامل : حتى انتهى بهما المسير إلى جبل من الصوان الأسود لا يعلم اين منتهاه ، والطريق افترقت عند ذلك الجبل طريقين . . طريق تشقه من وسطه ، وطريق صاعدة إلى أعلاه . فسلكا الطريق التى فى أعلى الجبل ، واستمرا سائرين فيها خمسة أيام فلم يريا لها منتهى ، وقد حلّ بهما الإعياء من التعب وليسا معتادين على المشى فى جبل ولا فى غيره . ولما يئسا من الوصول إلى منتهاه رجعا وسلكا الطريق التى فى وسط الجبل .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٥٣

(فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان الأمجد والأسعد ولدى الملك قمر الزمان ، لما عادا من الطريق الصاعدة فى الجبل إلى الطريق المسلوكة فى وسطه ، مشيا فيها طول ذلك النهار إلى الليل . وقد تعب الأسعد من كثرة السير فقال لأخيه : يا أخى أنا ما بقيت اقدر على المشى فإنى ضعفت جدا .

فقال له الأمجد : يا أخى شد حيلك لعل الله أن يفرج عنا .

ثم إنهما مشيا ساعة من الليل ، وقد تعب الأسعد تعبا شديدا ما عليه من مزيد وقال : يا أخى إنى تعبت وكللت من المشى .

ثم وقع على الأرض وبكى ، فحمله اخوه الأمجد ومشى به . وصار ساعة يمشي وساعة يقعد ويستريح إلى ان لاح الفجر فاستراحا . ثم طلعا فوق الجبل فوجدا عينا نابعة يجرى منها الماء ، وعندها شجرة رمان ومحراب ، فما صدقا انهما يريان ذلك . ثم جلسا عند تلك العين وشربا من مائها وأكلا من رمان تلك الشجرة ، وناما في ذلك الموضع حتى طلعت الشمس . ثم جلسا واغتسلا في العين ، واكلا من ذلك



الرمان الذى فى الشجرة وناما إلى العصر . وارادا ان يسيرا فما قدر الأسعد على السير وقد ورمت رجلاه .

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(**فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد المائتين**) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الأمجد والأسعد ناما إلى العصر . وأرادا أن يسيرا فما قدر الأسعد على السير وقد ورمت رجلاه . فأقاما هناك ثلاثة أيام حتى استراحا . ثم سارا فى الجبل مدة أيام ــ وهما سائران فوق الجبل ــ وقد تعبا من العطش ، إلى أن لاحت لهما مدينة من بعيد ففرحا وسارا حتى وصلا إليها . فلما قربا منها شكرا الله تعالى ، وقال الأمجد للأسعد : يا اخى اجلس هنا وانا اسير إلى هذه المدينة وأنظر ما شأنها ، واسأل عن أحوالها لأجل أن نعرف أين نحن من أرض الله الواسعة . ونعرف الذى قطعناه من البلاد فى عرض هذا الجبل . ولو اننا مشينا فى وسطه ما كنا نصل إلى هذه المدينة فى سنة كاملة ، فالحمد لله على السلامة .

فقال له الأسعد : والله يا اخى ما يذهب إلى المدينة غيرى ، وانا فداؤك . فإنك إن

إن تركتنى ونزلت وغبت عنى تستغرقنى الأفكار من أجلك ، وليس لى قدرة على بعدك عنى .

فقال له الأمجد : توجه ولا تبطىء .

فنزل الأسعد من الجبل واخذ معه دنانير ، وخلى أخاه ينتظره . وسار ولم يزل ماشيا فى أسفل الجبل حتى دخل المدينة ، وشق فى أزقتها فلقيه فى طريقه رجل ، وهو شيخ كبير طاعن فى السن وقد نزلت لحيته على صدره وافترقت فرقتين ، وبيده عجاز وعليه ثياب فاخرة وعلى راسه عمامة كبيرة حمراء . فلما رآه الأسعد تعجب من لبسه وهيئته ، وتقدم إليه وسلم عليه وقال له : اين طريق السوق يا سيدى ؟

فلما سمع الشيخ كلامه تبسم فى وجهه وقال له : يا ولدى كأنك غريب ؟

فقال له الأسعد : نعم انا غريب يا عم .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٥٥

(فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشيخ الذى لقى الأسعد تبسم فى وجهه وقال له : يا ولدى كأنك غريب ؟

فقال له الأسعد : نعم انا غريب .

فقال له الشيخ : قد آنست ديارنا يا ولدى وأوحشت ديار أهلك . فما الذى تريد من السوق ؟

فقال الأسعد : يا عم إن لى أخا تركته فى الجبل ، ونحن مسافران من بلاد بعيدة ولنا فى السفر مدة ثلاثة شهور . وقد اشرفنا على هذه

المدينة فجئت إلى ههنا لاشترى طعاما واعود به إلى أخى من اجل أن نقتات به .

فقال له الشيخ : يا ولدى ابشر بكل خير ، واعلم أننى اولمت وليمة وعندى ضيوف كثيرون ، وجمعت فيها من اطيب الطعام واحسنه مما تشتهيه النفوس . فهل لك ان تسير معى إلى مكانى فأعطيك ما تريد ولا آخذ منك ثمنا ، واخبرك بأحوال هذه المدينة ؟ والحمد لله يا ولدى حيث لقيتك ولم يلقك احد غيرى .

فقال الأسعد : افعل ما انت أهله وعجل فإن اخى ينتظرنى ، وخاطره عندى .

فأخذ الشيخ بيد الاسعد ورجع به إلى زقاق ضيق ، وصار يتبسم فى وجهه ويقول : « سبحان من نجاك من أهل المدينة » . ولم يزل ماشيا به حتى دخل دارا واسعة ، وفيها قاعة جالس فيها اربعون شيخا طاعنون فى السن ؛ وهم مصطفون حلقة ، وفى وسطهم نار موقدة ، والمشايخ جالسون حولها يعبدونها ويسجدون لها . فلما راى ذلك الأسعد اقشعر بنه ولم يعلم ما خبرهم .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٥٦

(فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان الأسعد لما راى المشايخ يعبدون النار ويسجدون لها ، اقشعر بدنه ولم يعلم ما خبرهم .

ثم إن الشيخ قال لهؤلاء الجماعة : يا مشايخ النار ، ما ابركه من نهار .

ثم نادى قائلا : يا غضبان .

فخرج له عبد اسود بوجه اعبس ، وانف أفطس ، وقامة مائلة ، وصورة هائلة . ثم اشار إلى العبد فشد وثاق الاسعد ، وبعد ذلك قال له الشيخ : انزل به إلى القاعة التى تحت الأرض واتركه هناك ، وقل للجارية الفلانية تتولى عذابه بالليل والنهار .

فأخذه العبد وأنزله تلك القاعة وسلمه إلى الجارية . فصارت تتولى عذابه ، وتعطيه رغيفا واحدا فى أول النهار ورغيفا واحدا فى اول الليل ، وكوز ماء ملح فى الغداة ومثله فى العشى .

ثم إن المشايخ قالوا لبعضهم بعضا : حينما يأتى أوان عيد النار نذبحه على الجبل ، ونتقرب به إلى النار .

ثم إن الجارية نزلت إليه وضربته ضربا وجيعا حتى سالت الدماء من اعضائه وغشى عليه . ثم حطت عند راسه رغيفا وكوز ماء ملح وراحت وخلته . فاستفاق فى نصف الليل فوجد نفسه مقيدا وقد آلمه الضرب فبكى بكاء شديدا ، وتذكر ما كان فيه من العز والسعادة : والملك والسيادة .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٥٧

(فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان الاسعد لما راى نفسه مقيدا وقد آلمه الضرب ، تذكر ما كان فيه من العز والسعادة ، والملك والسيادة ، فبكى وصعد الزفرات ، وانشد هذه الأبيات :

قفوا برسوم الدار واستخبروا عنا	ولا تحسبونا فى الديار كما كنا
لقد فرق الدهر المشتت شملنا	وما تشتفى اكباد حسادنا منا

تولت عــذابى بالســياط لئيمة ... وقد ملئت منى جوانحها ضغنا

عسى ولعل الله يجمــع شــملنا ... ويدفع بالتنــكيل أعداءنا عنــا

فلما فرغ الأسعد من شعره مد يده عند راسه ، فوجد رغيفا وكوز ماء ملح ، فأكل قليلا ليسد رمقه ؛ وشرب قليلا من الماء .. ولم يزل ساهرا إلى الصباح من كثرة البق والقمل . فلما أصبح الصباح نزلت إليه الجارية ونزعت عنه ثيابه ، وكانت قد غمرت بالدم والتصقت بجلده فطلع جلده مع القميص ، فصرخ وتأوه وقال : يا مولاى إن كان فى هذا رضاك فزدنى منه يارب ، إنك لست غافلا عمن ظلمنى فخذ حقى منه .

ثم صعد الزفرات ، وانشد هذه الأبيات .

كن عن امورك معــرضا ... وكل الأمور إلى القضــا

فلرب امــر مســـخط ... لــك فى عواقبــه رضــا

ولربما اتســـع المضـــ ... يق وربما اتســـع الفضــا

الله يفعــــل ما يشــاء ... فــلا تــكن متعرضـــا

وابشر بخـــير عاجــل ... تنسى بــه ما قـــد مضى

فلما فرغ من شعره نزلت عليه الجارية بالضرب حتى غشى عليه ، ورمت له رغيفا وكوز ماء ملح ، وطلعت من عنده وخلته وحيدا فريدا حزينا والدماء تسيل من أعضائه ، وهو مقيد فى الحــديد بعيــد عن الأحباب ، فتذكر أخاه والعز الذى كان فيه .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد أن الأسعد تذكر أخاه والعز الذى كان فيه ، فحن وبكى ، وان واشتكى ، وسكب العبرات ، وأنشد هذه الأبيات :

يا دهر مهلا كم تجور وتعتدى ولكم بأحبابى تروح وتغتدى
ما آن أن ترثى لطول تشتتى وترق يا من قلبه كالجلمد
واسأت احبابى بما اشمت بى كل العداة بما صنعت من الردى
وقد اشتفى قلب العدو بما رأى من غربتى وصبابتى وتوحدى
لم يكفه ما حل بى من كربة وفراق احبابى وطرف ارمد
حتى بليت بضيق سجن ليس لى فيه أنيس غير عضى باليد
ومدامع تهمى كفيض سحائب وغليل شوق ناره لم تخمد
وكآبة وصبابة وتذكر وتحسر وتنفس وتنهد
شوق اكابده وحزن متلف ووقعت فى وجد مقيم مقعد
لم الق لى من منصف ذى رحمة يحنون على بزورة المتردد
هل من صديق ذى وداد صادق يرثى لأسقامى وطول تسهدى
اشكو إليه ما اكابده اسى والطرف منى ساهر لم يرقد
ويطول ليلى فى العذاب لأننى اصلى بنار الهم ذات توقد
والبق والبرغوث قد شربا دمى شرب الطلا من كف المى اغيد
والجسم بين القمل منى قد حكى مال اليتيم بكف قاض ملحد
وسكنت فى سجن ثلاثة اذرع وغدوت بين مقيد ومصفد
فمدامتى دمعى ، وقيدى مطربى والفكر نقلى والهموم تمهدى

فلما فرغ من نظمه ونثره حن وبكى ، وأن واشتكى ، وتذكر ما كان فيه ، وما حصل له من فراق أخيه .

هذا ما كان من أمره ، وأما ما كان من أمر أخيه الأمجد فإنه مكث ينتظر أخاه الأسعد إلى نصف النهار فلم يعد إليه . فخفق فؤاده ، واشتد به ألم الفراق ، وأفاض دمعه المهراق .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٥٩

(فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الأمجد لما مكث ينتظر أخاه الأسعد إلى نصف النهار فلم يعد إليه ، خفق فؤاده واشتد به ألم الفراق ، وأفاض دمعه المهراق وصاح : واحسرتاه ، ما كان أخوفنى من الفراق .

ثم نزل من فوق الجبل ودمعه سائل على خديه ، ودخل المدينة . ولم يزل ماشيا فيها حتى وصل إلى السوق وسأل الناس عن اسم المدينة وعن أهلها ، فقالوا له : هذه تسمى مدينة المجوس ، وأهلها يعبدون النار دون الملك الجبار . ثم سأل عن مدينة الابنوس فقالوا له : إن المسافة التى بيننا وبينها من البر سنة ومن البحر ستة أشهر ، وملكها يقال له ارمانوس ، وقد صاهر اليوم ملكا وجعله مكانه ، وذلك الملك يقال له قمر الزمان ، وهو صاحب عدل وإحسان ، وجود وأمان .

فلما سمع الأمجد ذكر أبيه حن وبكى ، وأن واشتكى ، وصار لا يعلم أين يتوجه ، وقد اشترى معه شيئا للأكل وذهب إلى موضع يتوارى فيه . ثم قعد وأراد أن يأكل فتذكر أخاه فبكى ، ولم يأكل إلا قدر سد الرمق . ثم قام ومشى فى المدينة ليعلم خبر أخيه ، فوجد رجلا مسلما خياطا فى دكان فجلس عنده وحكى له قصته ، فقال له الخياط : إن

كان وقع فى يد أحد من المجوس فما بقيت تراه إلا بمصر ، ولعل الله يجمع بينك وبينه .

ثم قال له : هل لك يا اخى ان تنزل عندى ؟

قال : نعم .

ففرح الخياط بذلك ، وأقام عنده أياما وهو يسليه ويصبره ، ويعلمه الخياطة حتى صار ماهرا . ثم خرج يوما إلى شاطىء البحر وغسل



اثوابه ودخل الحمام ولبس ثيابا نظيفة ، ثم خرج من الحمام يتجول فى المدينة ، فصادف فى طريقه امراة ذات حسن وجمال ، وقد واعتدال ، ليس لها فى الحسن مثال . فلما رأته رفعت القناع عن وجهها ، وغمزته بحواجبها وعيونها ، وغازلته باللحظات ، وانشدت هذه الأبيات :

رايتك مقبلا فغضضت طرفى ... كأنك يا مهفهف عين شمس

فإنك انت احسن من تبدى ... وانت اليوم احسن منك امس

ولو قسم الجمال لكان خمس ... ليوسف واحد او بعض خمس

وباقيه لذاتك باختصاص ... فكان فدا لنفسك كل نفس

فلما سمع الأمجد كلامها ارتاح خاطره لديها ، وحنت جوارحه إليها . وقد لعبت به أيدى الصبابات ، فأشار لها وأنشد هذه الأبيات :

ورد الخدود ودونه شوك القنا ... فمن المحدث نفسه أن يجتنى
لا تمددد الأيدى إليه فطالما ... شنو الحروب لأن مددنا الأعينا
قل للتى ظلمت وكانت فتنة ... ولو أنها عدلت لكانت افتتنا
يزداد وجهك بالتبرقع ضلة ... وأرى السفور لمثل حسنك أصونا
كالشمس يمتنع اجتلاؤك وجهها ... وإن اكتست برقيق غيم أمكنا
غدت النحيلة فى حمى بنحولها ... فسلوا حماة الحى عم تصدنا
إن كان قتلى قصدهم فليرفعوا ... تلك الضغائن وليخلوا بيننا
ما هم بأعظم فتكة — لو بارزوا — ... من طرف ذات الخال إذ برزت لنا

فلما سمعت من الأمجد هذا الشعر تنهدت بصاعد الزفرات ، وأشارت إليه وأنشدت هذه الأبيات :

انت الذى سلك الإعراض لست أنا ... جد بالوصال إذا كان الوفاء أنى
يا فالق الصبح من لألاء غرته ... وجاعل الليل من أصداغه سكنا
بصورة الوثن استعبدتنى وبها ... فتنتنى وقديما هجت لى فتنا
لا غرو أن أحرقت نار الهوى كبدى ... فالنار حق على من يعبد الوثنا
تبيع مثلى مجانا بلا ثمن ... إن كان لابد من بيع فخذ ثمنا

فلما سمع الأمجد منها هذا الكلام قال لها : اتجيئين عندى أم أجىء عندك .

فأطرقت حياء إلى الأرض وقالت قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض » .

ففهم الأمجد إشارتها .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الأمجد فهم إشارة المراة ؛ وعرف انها تريد الذهاب معه حيث يذهب ، فالتزم لها بالمكان . وقد استحى أن يروح بها عند الخياط الذى هو عنده ، فمشى قدامها ومشت خلفه ، ولم يزل ماشيا بها من زقاق إلى زقاق ومن موضع إلى موضع ، حتى تعبت الصبية فقالت له : يا سيدى اين دارك ؟

فقال لها : قدام ، وما بقى عليها إلا شىء يسير .

ثم انعطف بها فى زقاق مليح ، ولم يزل ماشيا فيه وهى خلفه حتى وصل إلى آخره فوجده غير نافذ فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ثم التفت بعينه فراى فى صدر الزقاق بابا كبيرا بمسطبتين ولكنه مغلق . فجلس الأمجد على مسطبة وجلست المراة على مسطبة ، ثم قالت له : يا سيدى ما الذى تنتظره ؟

فأطرق إلى الأرض مليا . ثم رفع راسه وقال لها : انتظر مملوكى فإن المفتاح معه ، وكنت قد قلت له : هيىء لنا المأكول والمشروب وصحبته المدام ، حتى أخرج من الحمام .

ثم قال فى نفسه : ربما يطول عليها المطال فتروح إلى حال سبيلها ، وتخلينى فى هذا المكان .

فلما طال عليها الوقت قالت له : يا سيدى إن المملوك قد ابطأ علينا . ونحن قاعدان فى الزقاق .

ثم قامت الصبية إلى الضبة بحجر فقال لها الأمجد : لا تعجلى واصبرى حتى يجىء المملوك .

فلم تسمع كلامه ، بل ضربت الضبة بالحجر فقسمتها نصفين ، فانفتح الباب فقال : واى شيء خطر لك حتى فعلت هكذا ؟

فقالت له : يا سيدى اى شيء جرى ؟ اما هو بيتك ؟

فقال : نعم ، ولكن لا يحتاج إلى كسر الضبة .

ثم إن الصبية دخلت البيت ، فصار الأمجد متحيرا فى نفسه خوفا من اصحاب المنزل ولم يدر ماذا يصنع . فقالت له الصبية : لم لم تدخل يا سيدي ونور عينى وحشاشة قلبى ؟

قال لها : سمعا وطاعة ، ولكن قد ابطأ علىّ المملوك وما أدرى هل فعل شيئا مما امرته به أولا .

وادركَ شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٦١

(فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان الأمجد قال للصبية لقد ابطأ علىّ المملوك وما أدرى هل فعل شيئا مما أمرته به أو لا . ثم إنه دخل معها وهو فى غاية ما يكون من الهم خوفا من أصحاب المنزل . ولما دخل البيت وجد فيه قاعة مليحة باربعة إيوانات متقابلة ، وفيها خزائن وسدول مفروشات بالفرش الحرير والديباج . وفى وسط القاعة فسقية مثمنة مرصوص عليها أطباق مرصعة بفصوص الجوهر وهى مملوءة فاكهة ومشموما ، وفى جانبها اوانى الشراب ، وهناك شمعدان فيه شمعة مركبة . والمكان ملآن بنفيس القماش ، وفيه صناديق وكراسى منصوبة وعلى كل كرسى بقجة وفوقها كيس ملآن دنانير ، والدار تشهد لصاحبها بالسعادة لأن أرضها مفروشة بالرخام . فلما رأى الأمجد ذلك تحير فى امره وقال فى نفسه : قد راحت روحى ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

واما الصبية فإنها لما رات ذلك المكان فرحت فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقالت : يا سيدى ما قصر مملوكك ، فإنه مسح المكان وطبخ الطعام وهيأ الفاكهة وقد جئت انا فى أحسن الأوقات .

فلم يلتفت إليها الأمجد لاشتغال قلبه بالخوف من اصحاب المكان فقالت : يا سيدى مالك واقفا هكذا ؟ إن كنت مواعدا غيرى فأنا أخدمها .

فضحك الأمجد عن قلب مملوء بالغيظ ، ثم طلع وجلس وهو ينفخ وقال فى نفسه : يا يوم الشوم إذا جاء صاحب المنزل .

وقد جلست الصبية فى جانبه وصارت تلعب وتضحك ، والأمجد مغموم ، معبس مهموم ، يحسب فى نفسه الف حساب ويقول : لابد ان يجىء صاحب هذه القاعة ، فأى شىء اقول له .. ولابد انه يقتلنى بلا شك .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٦٢

(فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد المائتين) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الأمجد ظل يحسب فى نفسه الف حساب ويقول : لابد ان يجىء صاحب هذه القاعة ، فأى شىء اقول له .. ولابد انه يقتلنى بلا شك .

ثم إن الصبية قامت وتشمرت ، واخذت خوانا وحطت عليه السفرة ، واكلت وقالت للأمجد : كل يا سيدى .

فتقدم الأمجد لياكل فلم يطب له الاكل بل صار ينظر إلى ناحية الباب ، حتى أكلت الصبية وشبعت ورفعت الخوان وقدمت طبق الفاكهة وشرعت تتنقل ، ثم قدمت المشروب ، وفتحت الجرة وملأت قدحا وناولته

للأمجد ؛ فأخذه منها وقال فى نفسه : آه آه من صاحب هذه الدار إذا جاء ورآنى .

وصارت عينه صوب الدهليز والقدح فى يده . فبينما هو كذلك إذ بصاحب الدار قد جاء — وكان مملوكا من اكابر المدينة ؛ لانه كان أمير « ياخور » عند الملك — وقد جعل القاعة معدة لينشرح فيها صدره ويختلي فيها بمن يريد . وكان فى ذلك اليوم قد ارسل إلى معشوقة تجىء له وجهز لها ذلك المكان . . وكان اسم ذلك المملوك بهادر ، وكان سخى اليد صاحب جود وإحسان وصدقات وامتنان ؛ فلما وصل إلى قريب القاعة .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٦٣

(فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان بهادر صاحب القاعة ، لما وصل إلى قريب من القاعة وجد الباب مفتوحا . فدخل قليلا قليلا واطل براسه فنظر الأمجد والصبية وقدامهما طبق فاكهة وآلة المدام . وفى ذلك الوقت كان الأمجد ممسكا بالقدح وعينه إلى الباب ، فلما صارت عينه فى عين صاحب الدار اصفر لونه وارتعدت فرائصه . فلما رآه بهادر وقد اصفر لونه وتغير حاله ؛ غمزه بأصبعه على فمه يعني : اسكت وتعال عندى .

فحط الأمجد الكأس من يده وقام إليه . فقالت الصبيه : إلى اين ؟

فحرك راسه واشار لها انه يريق الماء . ثم خرج إلى الدهليز حافيا ؛ فلما راى بهادر علم انه صاحب الدار فأسرع إليه وقبل يديه ، ثم قال له : بالله عليكَ يا سيدى قبل أن تؤذينى اسمع منى مقالى .

ثم حدثه بحديثه من أوله إلى آخره ، وأخبره بسبب خروجه من ارضه ومملكته ، وانه ما دخل القاعة باختياره ولكن الصبية هى التى كسرت الضبة وفتحت الباب وفعلت هذه الفعال .

فلما سمع بهادر كلام الامجد وعرف أنه ابن ملك ، رق له ورحمه ثم قال : اسمع يا امجد كلامى واطعنى ، وأنا أتكفل لك بالأمان مما تخاف ، وإن خالفتنى قتلتك .

فقال الأمجد : مرنى بما شئت فأنا لا اخالفك ابدا ، لأننى عتيق مروءتك .

فقال له بهادر : ادخل هذه القاعة واجلس فى المكان الذى كنت فيه واطمئن . وها انا ذا ادخل عليك واسمى بهادر فإذا دخلت إليك فاشتمنى وانهرنى وقل لى : « ما سبب تأخرك إلى هذا الوقت ؟ » ولا تقبل لى عذرا بل قم واضربنى وإن اشفقت على اعدمتك حياتك . فادخل وانبسط ، ومهما طلبته منى تجده حاضرا بين يديك فى الوقت . وبت كما تحب فى هذه الليلة ، وفى غد توجه إلى حال سبيلك إكراما لغربتك ، فإنى احب الغريب وواجب على إكرامه .

فقبل الأمجد يده ، ودخل وقد اكتسى وجهه حمرة وبياضا .. فأول ما دخل قال للصبية : ياسيدتى آنست موضعك وهذه ليلة مباركة .

فقالت له الصبية : إن هذا أمر عجيب منك حيث بسطت لى الأنس .

فقال الأمجد : والله يا سيدتى إنى كنت اعتقد ان مملوكى بهادر اخذ عقود جواهر لى كل عقد يساوى عشرة آلاف دينار . ثم خرجت الآن وانا متفكر فى ذلك ففتشت عنها فوجدتها فى موضعها ، ولم أدر ما سبب تأخر المملوك إلى هذا الوقت ، ولابد لى من عقوبته .

فاستراحت الصبية لكلام الأمجد ، ولعبا وشربا وانشرحا ، ولم يزالا الى قريب المغرب . ثم دخل عليهما بهادر وقد غير لبسه وشد وسطه ، وجعل فى رجليه « زربونا » على عادة المماليك . ثم سلم وقبل الأرض وعقد يديه ، واطرق إلى الأرض كالمعترف بذنبه . فنظر إليه الأمجد بعين الغضب وقال له : ما سبب تأخرك يا انحس المماليك ؟

فقال له : يا سيدى ، إنى اشتغلت بغسل اثوابى وما علمت أ.ك ههنا ، فإن ميعادي وميعادك المشاء لا بالنهار .



فصاح عليه الأمجد وقال له : تكذب يا أخس المماليك ، والله لابد من ضربك .

ثم قام الأمجد وسطح بهادر على الأرض واخذ عصا وضربه برفق . فقامت الصبية وخلصت العصا من يده ونزلت على بهادر بضرب وجيع ، حتى جرت دموعه واستغاث وصار يضغط على اسنانه ، والأمجد يصيح على الصبية « لا تفعلى هكذا » ، وهى تقول : « دعنى اشفى غيظى منه » .

ثم إن الأمجد خطف العصا من يدها ودفعها ، فقام بهادر ومسح دموعه عن وجهه ووقف فى خدمته ساعة . ثم مسح القاعة واوقد القناديل . وصارت الصبية كلما دخل بهادر أو خرج تشتمه وتلعنه ، والأمجد يغضب عليها ويقول لها : بحق الله تعالى اتركى مملوكى فإنه غير معود على هذا .

وما زالا يأكلان ويشربان وبهادر فى خدمتهما إلى نصف الليل ، حتى تعب من الخدمة والضرب فنام فى وسط القاعة وشخر ونخر . فسكرت الصبية وقالت للأمجد : قم خذ هذا السيف المعلق واضرب به رقبة هذا المملوك ، وإن لم تفعل عملت على هلاك روحك .

فقال الأمجد : واى شيء خطر لك فى قتل مملوكى ؟

قالت : لا يكمل الحظ إلا بقتله ؛ وإن لم تقم قمت انا وقتلته .

فقال الأمجد : بحق الله عليك لا تفعلى .

فقالت : لابد من هذا .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٦٤

(**فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد المائتين**) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان الأمجد قال للصبية حينما صممت على قتل المملوك : بحق الله عليك لا تفعلى .

فقالت : لابد من هذا .

واخذت السيف وجردته وهمت بقتله . فقال الأمجد فى نفسه : هذا رجل عمل معنا خيرا ، وسترنا وأحسن إلينا وجعل نفسه مملوكى . كيف نجازيه بالقتل ؟ لا كان ذلك ابدا .

ثم قال للصبية : إن لم يكن بد من قتل مملوكى فأنا احق بقتله منك .

ثم أخذ السيف من يدها ، ورفع يده وضرب الصبية على عنقها فأطاح رأسها عن جثتها ، فوقعت رأسها على صاحب الدار فاستيقظ وجلس وفتح عينيه ، فوجد الأمجد واقفا والسيف فى يده مخضببالدم . ثم نظر إلى الصبية فوجدها مقتولة ، فاستخبره عن امرها فأعاد عليه حديثها وقال له : إنها ابت إلا ان تقتلك وهذا جزاؤها .

فقام بهادر وقبل راس الأمجد وقال له : يا سيدى ليتك عفوت عنها ، وما بقى فى الأمر إلا إخراجها فى هذا الوقت قبل الصباح .

ثم إن بهادر شد وسطه ، واخذ الصبية ولفها فى عباءة ووضعها فى كيس وحملها ، وقال للأمجد : انت غريب ولا تعرف احدا . فاجلس فى مكانك وانتظرنى عند طلوع الشمس ، فإن عدت إليك فلابد أن أفعل معك خيرا كثيرا ، واجتهد فى كشف خبر اخيك . وإن طلعت الشمس ولم أعد إليك فاعلم انه قضى على ، والسلام عليك ، وهذه الدار لك بما فيها من الأموال والقماش .

ثم إنه حمل الكيس وخرج من القاعة ، وشق بالجثة فى الأسواق وقصد بها إلى طريق البحر الملح ليرميها فيه . فلما صار قريبا من البحر التفت فراى الوالى والمقدمين قد احاطوا به ، ولما عرفوه تعجبوا وفتحوا الكيس فوجدوا فيه الصبية القتيل .

فقبضوا عليه وبيتوه فى السجن إلى الصباح . ثم طلعوا به هو والكيس إلى الملك وأعلموه بالخبر . فلما راى الملك ذلك غضب غضبا شديدا وقال له : ويلك انت تفعل هكذا دائما ، فتقتل القتلى وترميهم فى البحر وتأخذ جميع ما لهم . وكم فعلت قبل ذلك من قبل !

فأطرق بهادر إلى الأرض قدام الملك ، فصاح الملك عليه وقال له : ويلك من قتل هذه الصبية ؟

فقال له : يا سيدى انا قتلتها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

فغضب الملك وأمر بشنقه . فنزل به السياف حين امر به الملك ، وأمر الوالى المنادى أن ينادى فى أزقة المدينة بالفرجة على بهادر امير ياخور الملك ، ودار به فى الأزقة والأسواق .

هذا ما كان من امر بهادر . وأما ما كان من امر الأمجد فإنه لما طلع عليه النهار وارتفعت الشمس ولم يعد إليه بهادر قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، اى شىء جرى له ؟

فبينما هو يتفكر إذ بالمنادى ينادى بالفرجة على بهادر وانهم سيشنقونه فى وسط النهار ، فلما سمع الأمجد ذلك بكى وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . قد اراد هلاك نفسه من أجلى ، وانا الذى قتلتها والله لا كان هذا ابدا .

ثم خرج من القاعة واقفل الباب ، وشق فى وسط المدينة حتى اتى إلى بهادر ، ووقف قدام الوالى وقال له : يا سيدى ، لا تقتل بهادر فإنه برىء ، والله ما قتلها إلا انا .

فلما سمع الوالى كلامه اخذه هو وبهادر وطلع بهما إلى الملك واعلمه بما سمعه من الأمجد . فنظر الملك إلى الأمجد وقال له : اانت قتلت الصبية ؟

قال : نعم .

فقال له الملك : احك لى سبب قتلك إياها واصدقنى .

قال له : ايها الملك إنه جرى لى حديث عجيب ، وامر غريب ، لو كتب بالإبر على آماق البصر ، لكان عبرة لمن اعتبر .

ثم حكى للملك حديثه ، واخبره بما جرى له ولاخيه من المبتدا إلى المنتهى . فتعجب الملك من ذلك غاية العجب وقال له : إنى قد علمت انك معذور ، ولكن يا فتى هل لك ان تكون عندى وزيرا ؟

فقال له : سمعا وطاعة .

فخلع عليه الملك وعلى بهادر خلعا سنية ، واعطاه دارا حسنة وخدما وحشما ، وانعم عليه بجميع ما يحتاج إليه ، ورتب له الرواتب والجرايات ، وامره ان يبحث عن اخيه الاسعد .

فجلس الأمجد فى رتبة الوزير ، وحكم وعدل وولى وعزل واخذ واعطى . وارسل المنادى فى ازقة المدينة ينادى على اخيه الاسعد ، فمكث مدة ايام ينادى فى الشوارع والاسواق فلم يسمع له بخبر ، ولم يقع له على اثر .

هذا ما كان من الأمجد .وأما ما كان من أمر الأسعد فإن المجوس ما زالوا يعاقبونه بالليل والنهار ، وفى العشى والإبكار ، مدة سنة كاملة حتى قرب عيد المجوس ، فتجهز بهرام المجوسى للسفر وهيأ لـه مركبا .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٦٥

(فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان بهرام المجوسى جهز مركبا للسفر ، ثم وضع الأسعد فى صندوق واقفله عليه ونقله إلى المركب . وفى تلك الساعة التى حول فيها بهرام الصندوق الذى فيه ، كان الأمجد بالقضاء والقدر واقفا يتطلع إلى البحر . ووقف على مركب المجوسى وأمر من معه ان ينزلوا المركب ويفتشوه . فنزل الرجال وفتشوا المركب جميعه فلم يجدوا فيه شيئا ، فطلعوا واعلموا الأمجد بذلك . فركب وتوجه إلى بيته ، فلما وصل إلى منزله ودخل القصر انقبض صدره ، فنظر بعينه فى الدار فرأى سطرين مكتوبين على حائط وهما هذا البيتان :

أحبابنا إن غبتم عن ناظرى ... فعن الفؤاد وخاطرى ما غبتم
لكنكم خلفتمونى مدنفا ... ومنعتم جفنى الرقاد ونمتم

هذا ما كان من أمره ، واما ما كان من بهرام المجوسى فإنه نزل المركب ، وصاح على البحرية وامرهم ان يعجلوا بحل القلوع ، فحلوا القلوع وسافروا . ولم يزالوا مسافرين أياما وليالى ، وكل يومين يخرج الأسعد ويطعمه من الزاد ويسقيه قليلا من الماء ، إلى ان قربوا من جبل .. فهبت عليهم ريح وهاج بهم البحر ، حتى تاه المركب عن الطريق وسلكوا طريقا غير طريقهم ، ووصلوا إلى مدينة مبنية على البحر ، والحاكمة على تلك المدينة امراة يقال لها الملكة مرجانة . فقال

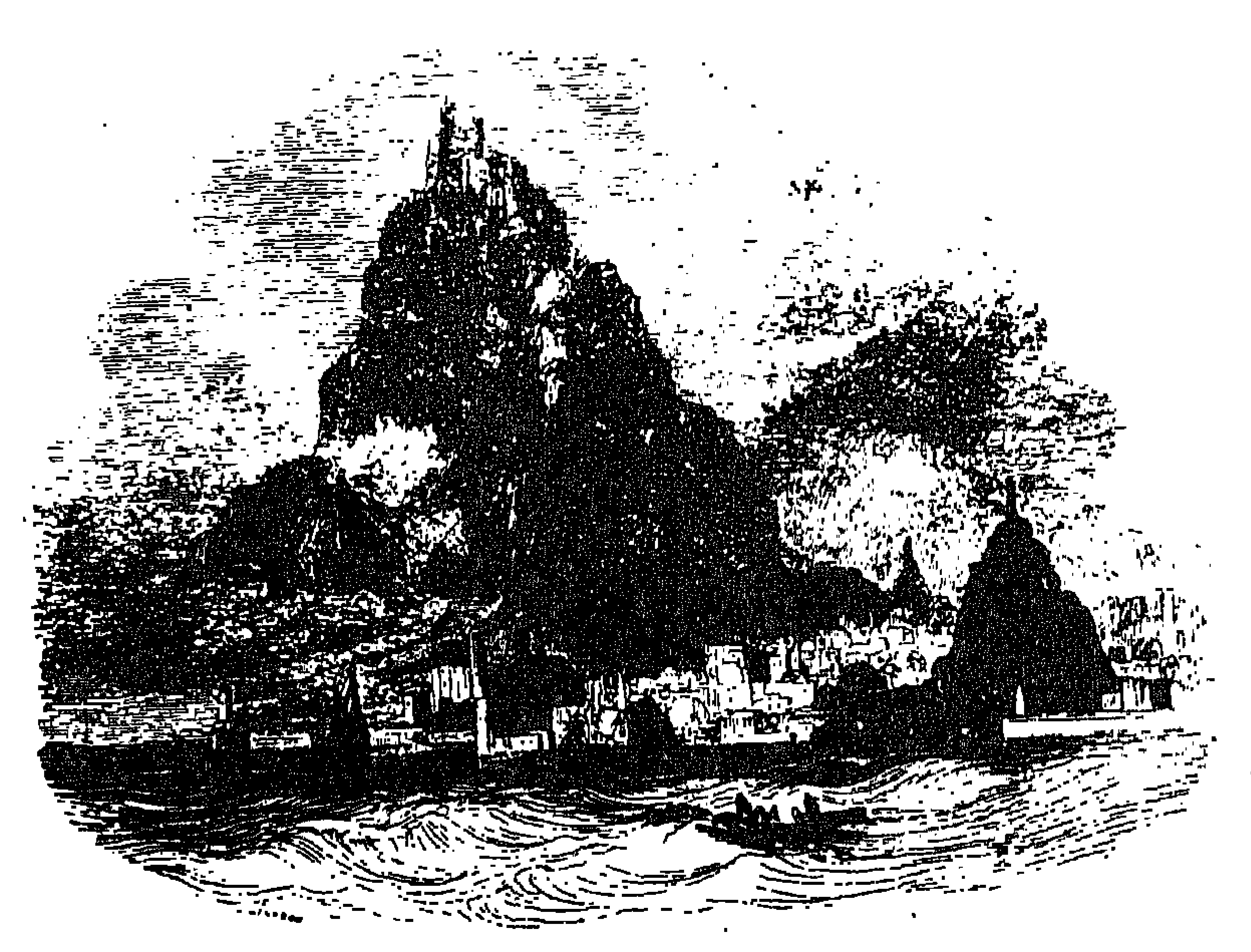
الريس لبهرام : يا سيدى إننا تهنا عن الطريق ، ولابد لنا من دخول هذه المدينة لأجل الراحة ، وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء .

فقال له بهرام : نعم ما رأيت ، والذى تراه افعله .

فقال له الريس : إذا أرسلت لنا الملكة تسألنا ماذا يكون جوابنا لها ؟

فقال له بهرام : انا عندى هذا المسلم الذى معنا . فنلبسه لبس المماليك ونخرجه معنا . وإذا راته الملكة تظن انه مملوك فأقول لها : إنى جلاب مماليك ابيعهم واشتريهم ، وقد كان عندى مماليك كثيرون فبعتهم ولم يبق غير هذا المملوك .

فقال له الريس : هذا كلام مليح .



ثم إنهم وصلوا إلى المدينة وارخوا القلوع ودقوا المراسى . ووقف المركب وإذا بالملكة مرجانة نزلت إليهم ومعها عسكرها ، ووقفت على المركب ونادت الريس فطلع عندها وقبل الأرض بين يديها ، فقالت له : اى شىء فى مركبك هذا ؟ ومن معك ؟

فقال لها : يا ملكة الزمان معى رجل تاجر يبيع المماليك .

فقالت : على به .

وإذا ببهرام طلع ومعه الأسعد ماشى وراءه فى صفة مملوك . فلما وصل إليها بهرام قبل الأرض بين يديها فقالت له : ما شأنك ؟

فقال لها : انا تاجر رقيق .

فنظرت إلى الأسعد وقد ظنت انه مملوك ، فقالت له : ما اسمك ؟

فخنقه البكاء وقال لها : اسمى الأسعد .

فرق قلبها له وقالت : اتعرف الكتابة ؟

قال : نعم .

فناولته دواة وقلما وقرطاسا وقالت له : اكتب شيئا حتى أراه .

فكتب هذين البيتين :

ما حيلة العبد والإقدار جارية	عليه فى كل حال ايها الرائى
القاه فى اليم مكتوفا وقال له	إياك إياك ان تبتل بالماء

فلما رات الورقة رحمته ثم قالت لبهرام : بعنى هذا المملوك .

فقال لها : يا سيدتى لا يمكننى بيعه لأنى بعت جميع مماليكى ولم يبق عندى غير هذا .

فقالت الملكة مرجانة : لابد من أخذه منك . إما ببيع وإما بهبة .

فقال لها : لا ابيعه ولا اهبه .

فقبضت على الأسعد وأخذته . وطلعت به القلعة ، وارسلت تقول له : إن لم تقلع فى هذه الليلة عن بلدنا اخذت جميع مالك وكسرت مركبك .

فلما وصلت إليه الرسالة اغتم غما شديدا وقال : إن هذه سفرة غير محمودة .

ثم قام وتجهز واخذ جميع ما يريد ،وانتظر الليل ليسافر فيه . وقال للبحرية : خذوا اهبتكم واملئوا قربكم من الماء واقلعوا بنا فى آخر الليل .

فصار البحرية يقضون أشغالهم .

هذا ما كان من أمرهم : وأما ما كان من أمر الملكة مرجانة فإنها اخذت الأسعد ودخلت به القلعة ؛ وفتحت الشبابيك المطلة على البحر . وأمرت الجوارى أن يقدمن الطعام فقدمن لهما فأكلا ؛ ثم أمرتهن ان يقدمن المدام .

وادرك شهر زاد الصباح ؛ فسكتت عن الكلام المباح .

٢٦٦

(فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد المائتين) قالت : بلغنى الملك السعيد ان الملكة مرجانة امرت الجوارى أن يقدمن المدام فقدمنه . فشربت مع الأسعد . والقى الله تعالى محبة الأسعد فى قلبها . وصارت تملأ القدح وتسقيه حتى غاب عن وعيه ، فقام يريد قضاء حاجة . ونزل من القاعة فرأى بابا مفتوحا فدخل فيه وتمشى . فانتهى به السير إلى بستان عظيم فيه جميع الفواكه والأزهار . فجلس تحت شجرة وقضى حاجته . وقام إلى الفسقية التى فى البستان فاستلقى على قفاه فضربه الهواء فنام ، ودخل عليه الليل .

هذا ما كان من أمره ، وأما ما كان من أمر بهرام فإنه لما دخل عليه الليل صاح على بحرية المركب وقال لهم : حلوا قلوعكم وسافروا بنا .

فقالوا له : سمعا وطاعة ، ولكن اصبر علينا حتى نملأ قربنا ونحل .

ثم طلع البحرية بالقرب وداروا حول القلعة ، فلم يجدوا غير حيطان البستان فتعلقوا بها .. ونزلوا البستان وتتبعوا اثر الأقدام الموصلة إلى الفسقية . فلما وصلوا وجدوا الأسعد مستلقيا على قفاه فعرفوه وفرحوا به وحملوه بعد ان ملئوا قربهم . ونطوا من الحائط واتوا به مسرعين إلى بهرام المجوسى وقالوا له : ابشر بحصول المراد ؛ وشفاء

الأكباد . فقد طبل طبلك وزمر زمرك ، فإن أسيرك الذى أخذته الملكة مرجانة منك غصبا قد وجدناه وأتينا به معنا .

ثم رموه قدامه . فلما نظره بهرام طار قلبه من الفرح ، واتسع صدره وانشرح . ثم خلع عليهم ، وامرهم ان يحلوا القلوع بسرعة ؛ فحلوا قلوعهم وسافروا قاصدين جبل النار ، ولم يزالوا مسافرين إلى الصباح .



هذا ما كان من امرهم ؛ واما ما كان من امر الملكة مرجانة فإنها بعد نزول الأسعد من عندها ؛ مكثت تنتظر ساعة فلم يعد إليها . فقامت وفتشت عليه فما وجدته . فأوقدت الشموع وامرت الجوارى ان يفتشن عليه . ثم نزلت هى بنفسها فرأت البستان مفتوحا فعلمت انه دخله ، فدخلت البستان فوجدت نعله بجانب الفسقية ، فصارت تفتش عليه فى جميع البستان فلم تر له خبرا . ولم تزل تفتش عليه فى جوانب البستان إلى الصباح ؛ ثم سألت عن المركب فقالوا لها : قد سافر فى ثلث الليل .

فعلمت انهم اخذوه معهم فصعب عليها واغتاظت غيظا شديدا . ثم امرت بتجهيز عشرة مراكب كبار فى الوقت ، وتجهزت للحرب ونزلت فى مركب من المراكب العشرة ونزل معها عسكرها متهيئين بالعدة الفاخرة وآلات الحرب . وحلوا القلوع وقالت للرؤساء : إن لحقتم

مركب المجوسي فلكم عندى الخلع والأموال ، وإن لم تلحقوه عن آخركم .

فحصل للبحرية خوف عظيم ، ثم سافروا بالمراكب ذلك النهار وتلك الليلة ، وثانى يوم وثالث يوم ، وفى اليوم الرابع لاح لهم مركب بهرام المجوسي . ولم ينقض النهار حتى احاطت المراكب بمركب المجوسي . وكان بهرام فى ذلك الوقت قد أخرج الأسعد وضربه ، وصار يعاقبه والاسعد يستغيث ويستجير فلم يجد معينا ولا مجيرا من الخلق ، وقد آلمه الضرب الشديد . فبينما هو يعاقبه إذ لاحت منه نظرة فوجد المراكب قد احاطت بمركبه ، ودارت حوله كما يدور بياض العين بسوادها فتيقن انه هالك لا محالة . فتحسر بهرام وقال : ويلك يا اسعد ، هذا كله من تحت رأسك .

ثم اخذه من يده وأمر البحرية أن يرموه فى البحر وقال : والله لاقتلنك قبل موتى .

فاحتمله البحرية من يديه ورجليه ورموه فى وسط البحر ، فأذن الله سبحانه وتعالى — لما يريد من سلامته وبقية أجله — انه غطس ثم طلع وخبط بيديه ورجليه إلى ان سهل الله له واتاه الفرج . وضربه الموج وقذفه بعيدا عن مركب المجوسي ووصل إلى البر ، فطلع وهو لا يصدق بالنجاة . ولما صار فى البر خلع اثوابه وعصرها ونشرها ، وقعد عريانا يبكى على ما جرى له من المصائب والأسر ، ثم انشد هذين البيتين :

إلهى قبل صبرى واحتمالى وضاق الصدر وانصرمت حبالى
إلى من يشتكى المسكين إلا إلى مولاه يا مولى الموالى

فلما فرغ من شعره قام ولبس ثيابه ولم يعلم اين يروح ولا أين يجىء . فصار يأكل من نبات الأرض وفواكه الأشجار ، ويشرب من ماء الأنهار . وسافر بالليل والنهار حتى اشرف على مدينة ، ففرح واسرع فى مشيه نحو المدينة ، فلما وصل إليها ادركه المساء .

وادرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان الأسعد لما وصل إلى المدينة أدركه المساء وقد اقفل بابها ،وكانت المدينة هى التى كان أسيرا فيها واخـوه الأمجـد وزير ملكها . فلما رآها الأسعد مقفلة رجع إلى جهة المقابر ، فلما وصل إلى المقابر وجد تربة بلا باب فدخلها ونام فيها .

وكان بهرام المجوسى لما وصلت إليه الملكة مرجانة بالمراكب كسرها بمكره وسحره ، ورجع سالما نحو مدينته ، وسار من وقته وساعته وهو فرحان . فلما جاز على المقابر طلع من المركب بالقضاء والقدر ومشى بين المقابر ، فرأى التربة التى فيها الأسعد مفتوحة ، فتعجب وقال : « لابد ان انظر فى هذه التربة » . فلما نظر فيها رأى الأسعد وهو نائم ، فنظر فى وجهه فعرفه فقال له : اما زلت تعيش إلى الآن ؟

ثم أخذه وذهب به إلى بيته ، وكان له فى بيته طابق تحت الأرض معد لعذاب المسلمين . وكانت له بنت تسمى بستان ، فوضع فى رجلى الأسعد قيدا ثقيلا وأنزله فى ذلك الطابق ، ووكل بنته بتعذيبه ليلا ونهارا إلى أن يموت . ثم إنه ضربه الضرب الوجيع واقفل عليه الطابق واعطى بنته المفاتيح .

ثم إن بنته بستان نزلت لتضربه ، فوجدته شابا ظريف الشمائل ، حلو المنظر مقوس الحاجبين كحيل المقلتين ، فوقعت محبته فى قلبها فقالت : ما اسمكَ ؟

قال لها : اسمى الأسعد .

فقالت له : سعدت وسعدت ايامك ؛ انت ما تستأهل العـذاب وقد علمت انك مظلوم .



وصارت تؤانسه بالكلام وفكت قيوده ، ثم إنها سألته عن دين الإسلام فأخبرها انه هو الدين الحق القويم ، وان سيدنا محمدا صاحب المعجزات الباهرة ، والآيات الظاهرة ، وان النار تضر ولا تنفع . وعرفها قواعد الإسلام فأذعنت إليه ، ودخل حب الإيمان في قلبها ، ومزج الله محبة الأسعد بفؤادها ، فنطقت بالشهادتين وصارت من أهل السعادة . وصارت تطعمه وتسقيه وتتحدث معه وتصلى هى وهو ، وتصنع له المساليق بالدجاج حتى اشتد وزال ما به من الأمراض، ورجع إلى ما كان عليه من الصحة .

ثم إن بنت بهرام خرجت من عند الأسعد ووقفت على البـــاب ، وإذا بالمنادى ينادى ويقول : كل من كان عنده شاب مليح صفته كذا وكذا واظهره ، فله جميع ما يطلب من الأموال . ومن كان عنده وانكره فإنه يشنق على باب داره وينهب ماله ويهدر دمه .

وكان الأسعد قد اخبر بستان بنت بهرام بجميع ما جرى له . فلما سمعت ذلك عرفت أنه هو المطلوب ، فدخلت عليه واخبرته بالخبر . فخرج وتوجه إلى دار الوزير ، فلما رأى الوزير قال : والله إن هذا الوزير هو أخي الامجد .

ثم طلع إلى القصر فرأى اخاه الأمجد فألقى نفسه عليه . ثم إن الأمجد عرفه فألقى نفسه عليه وتعانقا ، واحاطت بهما المماليك . وغشى على الأسعد والأمجد ساعة ، فلما افاقا من غشيتهما اخذه الامجد وطلع به إلى السلطان واخبره بقصته ، فأمره السلطان بنهب بيت بهرام .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٦٨

(**فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد المائتين**) قالت : بلغنى ايهـــا الملك السعيد أن الســلطان امر الأمجـــد بنهب دار بهـــرام . فأرسل الوزير جماعة لذلك ، فتوجهوا إلى بيت بهرام ونهبوه ، وطلعوا بابنته إلى الوزير فاكرمها . وحدث الأسعد اخاه بكل ما جرى له من العذاب ، وما عملت معه بنت بهرام من الإحسان ، فزاد الأمجد فى إكرامها . ثم حكى الأمجد للأسعد جميع ما جرى له مع الصبية ، وكيف سلم من الشنق وقد صار وزيرا ، وصار يشكو احدهما للآخر ما وجد من فرقة اخيه .

ثم إن السلطان احضر المجوسى وامر بضرب عنقه ، فقال بهرام : أيها الملك الاعظم ، هل صممت على قتلى ؟

قال : نعم .

فقال بهرام : اصبر علىّ أيها الملك قليلا .

ثم إنه أطرق إلى الأرض ،وبعد ذلك رفع راسه وتشهد واسلم على يد السلطان ، ففرحوا بإسلامه . ثم حكى له الأمجد والأسعد جميع ما جرى لهما . فقال لهما : يا سيدىّ تجهزا للسفر ، وانا اسافر بكما .

ففرحا بذلك وبإسلامه ، وبكيا بكاء شديدا .. فقال لهما بهرام : يا سيدىّ لا تبكيا ، فمصيركما تجتمعان كما اجتمع نعمة ونعم .

ألف ليلة وليلة

مراجعة الأستاذين

سعيد جوده السحار ، عبد الستار فراج

١ ـ التاجر والعفريت
٢ ـ الصياد والعفريت
٣ ـ الحمال والبنات
٤ ـ نور الدين وشمس الدين
٥ ـ الخياط والأحدب
٦ ـ أنيس الجليس
٧ ـ غانم وقوت القلوب
٨ ـ العاشق والمعشوق
٩ ـ الطيور والحيوانات وابن آدم
١٠ ـ على بكار وشمس النهار
١١ ـ قمر الزمان
١٢ـ الأمجد والأسعد
١٣ـ نعم ونعمة

دار مصر للطباعة